

مكاشفات: الموصل .. الانتخابات والمستقبل

الخميس 1 ديسمبر 2005 GMT 8:30:00

الصباح البغدادية

مكاشفات

الموصل : الانتخابات والمستقبل

دعوا تحافظ على خصوصياتها الحضارية !!

أ.د. سيار الحميل

يدرك الجميع ما للموصل من شأن كبير على امتداد التاريخ وانها مفصل جغرافي استراتيجي قوي منذ الاف السنين ، وهي رأس للعراق - على حد تعبير لونكريك - لا يمكنه ان يعيش من دونها ، وهي مكتسبة خصوصياتها الحضارية منذ القدم وكانت معقلا من معازل الشرق ناهيك عما صادفته من تحديات ونكبات وغزوات وحصارات ومجاعات وطواعين .. كانت دوما - حسب ما يقوله المؤرخون عنها - تستجيب لها لتتجاوزها وتعود للحياة بفضل خصب اراضيها وحيوية سكانها وتنوع مجتمعا وثراء اقتصاداتها واصالة ثقافتها ومكوناتها الحضارية .. وقد سميت بأمر الربيعين دليل نضارتها وجمالياتها ، وهي ذات خصوصيات يعتز بها كل القاطنين بها ، علما بأن اقليمها يعد - حسب كل الدراسات الحديثة - من اهم اقاليم الشرق بترائه السكاني اذ يتبع الموصل (2229) قرية خصبة وهذا ما لم نجده في اي اقليم آخر من اقاليم المنطقة . لقد شهدت الموصل ولم تزل تعايشاً أخوياً رائعاً قل نظيره بين نسيج سائر أطرافها السكانية من عرب وأكراد وتركماني ومسيحيين : سريان وكلدان وآشوريين وارمن . سنة وشيعة ويزيدية وشبك ويهود ... الخ مع ما يزينها من وجود عشرات الجوامع والأديرة والكنائس والمزارات والمعابد للمسلمين وللمسيحيين واليزيدية وكل الأقليات ، ولم تعرف الموصل البتة ما يدعى بالمشكلة الطائفية إلا عندما يعيث بها الغرباء والمتخلفون .

وقفه تاريخية

ان لواء الموصل (أو : محافظة نينوى) يعد جزءا حيويا من بلاد ما بين النهرين ، كما تعد مدينة الموصل حلقة مفصلية في منطقة الهلال الخصيب ، ويكفي ان لها تواريخها الحضارية التي ينبغي على كل العراقيين الافتخار بها ، فلقد كانت مهداً للأشوريين ومحجاً للبابليين ومركزاً للأراميين وسكنها الجرامقة القدماء واقتربت العاصمة نينوى على الطرف الايسر من دجلة بامبراطورية الأشوريين في حين اقتربت بعد سقوطها عام 612 ق. م. على ايدي الكلدانيين والميديين فاتجهت الهجرات صوب تل قليعات بالموصل على الطرف الايمن من دجلة وصارت تعرف هذه البلاد العريقة بأسم " عربايا " (أي : بلاد العرب) ، ثم سيطر الفرس الأخمينيون على المنطقة بعد القضاء على الإمبراطورية الكلدانية عام (537 ق. م) وغدت مجالاً حيويًا للعالم القديم نظراً لأهميتها الاستراتيجية أمام الأوغريين ، والموصل أسم أطلقه عليها سكانها العرب الذين أستوطنها العديد من قبائلهم ، فهو مشتق من الوصل كونها حلقة اتصال حيوية اذ ان فيها ملتقى عدة مسالك تربط الشرق بالغرب .

ومما يؤيد لنا قدم العرب في الموصل وبلاد الجزيرة ما ذكره صاحب التاريخ السعرتي عند كلامه عن الحصن الغربي (= الموصل) قال : كانت تسكنه منذ القدم قبائل عربية ، مثل : تغلب وكان فيهم العدويون والحمدانيون والعقيليون فضلا عن قضاة و ثقيف و بنو شيبان ومعظمها كانت تدين بالانصرانية . وبعد الفتح الاسلامي عاشت في وفاق وتآخي مع كل الاعراق السكانية ، ولم تعرف أي نزاع عنصري مقيت ابدا ، وفي العصور الإسلامية الوسيطة والحديثة استوطنتها بقايا السلاجقة والتركمان والشبك من دون اي استئصال عرقي او اقصاد ديني او صراع طائفي . وعندما طالبت تركيا الكمالية بلوائها ابان العشرينيات من القرن العشرين، دافع الموصليون دفاعا مستميتا عن عراقية الموصل وعروبيتها وخصوصا الدور الذي لعبه كل من الحزبين الموصليين القديمين : الحزب الوطني العراقي وحزب الاستقلال . ان اي ترتيب لعلاقات واقعنا اليوم لا يجردّه عن تاريخه وجغرافيته وادواره الحضارية ، والأ فان اية اجنحة مبيّنة ضد اي طرف ازاء الطرف الاخر ستخلق معضلات غاية في الخطورة .

مستلزمات أساسية

هذه " المدينة " الحضارية تجد نفسها اليوم مع العراق ولا تريد ان تجد نفسها مع غيره .. انها تناضل من اجل البقاء على خصوصياتها وتمايزاتها ، ويتخوف سكانها من حدوث اي تمزقات او تشظيات نتيجة جملة من تناقضات جديدة . لقد حدثت العديد من الاصدقاء الموصليين وهم من متنوعي المشارب والاعراق والاديان والتيارات بأن وضع الموصل له اليوم من الحساسية المفرطة بحيث لا بد من ايلاء اوضاعها اهتماما خاصا ، وان تأخذ دورها على ايدي ابنائها الحقيقيين في وقوفهم بأنفسهم على صناديق الاقتراع في الانتخابات القادمة .. ان لا يمكن ان يحدث في الموصل ما كان قد حدث فيها ايام الانتخابات الاولى ، او ما كان قد حدث فيها يوم التصويت على الدستور . لقد كان دور المفوضية المشرفة على الانتخابات بالموصل معدوما .. وكان قد اشير بشكل موثّق الى تسجيل اكثر من 20 مخالفة في عموم المحافظة تكفي احداها لالغاء الاستفتاء !! وبالرغم من الاعتراضات المحلية ، فالمفوضية لم تلتفت اليها أبدا !!

وعليه ، اطالب الاخوة الاعزاء من المسؤولين على البلاد وعلى المفوضية منذ الان بمراعاة سيرورة العملية الانتخابية في الموصل تلافيا لما حدث من اختراقات وتجاوزات واختفاء لصناديق الاقتراع .. كما يطالب اهالي الموصل والمحافظة سواء في غربي دجلة ام في شرقيها ان يشرف ممثلون رسميون عن هيئات دولية او اقليمية على العملية الانتخابية في الموصل بالذات من اجل حماية وضمان حقوق السكان جميعا واحترام الارادة الجماعية لابناء الموصل .. وان تسود المصارحة والشفافية اثناء العملية الانتخابية بعيدا عن تدخل اي طرف من الاطراف لتنفيذ اي اجنحة لصالحه على حساب الحقوق التاريخية والجغرافية والسكانية .

وأخيرا : هل من آليات تنفيذية وتقاليدي ديمقراطية ؟

انني اذ عنيت بهذا " المقال " ترجمة هواجس ابناء الموصل ومطالبهم المشروعة ، لا يسعني الا ان اقول بأن العراقيين كلهم بحاجة الى جملة من الآليات التنفيذية وهم يمارسون عمليات سياسية ودستورية لم يعرفوها سابقا .. وان التقدم فيها على اسس من الشفافية والعدالة والضبط والربط سيتيح لكل العراقيين ان يؤسسوا لهم تقاليد ديمقراطية هم احوج اليها قبل غيرهم .. وان يكون العراق هو معيار القوة الحقيقية لكل ابنائه ، وان يراعى العراقيون خصوصيات كل طرف وكل مدينة باحترام كل الاطراف بعضها للبعض الاخر وان تسود المحبة والوفاء والتحضر وان يعرف كل طرف قدر نفسه ازاء الطرف الاخر .. ان التنوع في خصوصيات العراقيين لا يمكن رؤيته الا من خلال ما قدمه كل طرف من الاطراف للعراق عبر التاريخ .

مؤرخ عراقي